ماري بوستجيت

تأليف : رديارد كيبلنج

ترجمة : السيد حامد زعلوك

رديارد كيبلنج (١٨٦٥ـ١٩٣٦)شاعر وروائي وقصاص انجليزي . ولد بالهند ورسم لها صورة واضحة في كتاباته واشعاره . كان أول انجليزي يحوز جائزة نوبل في الادب سنة ١٩٠٧ .

عندما تركت مس ماري بوستجيت خدمة الليدي ماكورلاند ، كتبت لهـا الليدي شهادة تركية تقول فيها انهـا على درجة كاملة من الوعي ، منظمـة حلوة المعشر ، تتصرف كمـا تتصرف السيدات، اتى في نهاية الأمر لافتراقي عنها ، وسـاظل دائما مهتمـة بامر سعادتها ونجاحها .

والحقتها مس نولر بخدمتها ثناء على هذه التركية ، ولدهشتهـا وهي التي حررت صحيفة الوصيفات والمرافقات .. وجدت هذه الصفات فيها فعلا . كانت مس نولر في ذلك الوقت اقرب الى الستين منها الى الخمسين ، ولكنها رغم حاجتها الى من يعنى بها ، لم تكن ترهق من يقومون على رعايتها من أمرهم عسرا ، بل على العكس، تجلس اليهم وتقص عليهم تاريخ حياتها بطريقة مثيرة عندما تهيجها الذكريات . كان ابوها موظفا صغيرا في احدى المحاكم ، أيام ذلك المعرض العظيم الذي اقيـم في سنة ١٨٥١ ، وانت وقتئذ أن المسدينة قد استكملت كل مقوماتها . وعلى أية حال ، فان جانبا من حكايات مس نولر لم يكن يصلح لصغار السن من الشبـاب . ولم تكن ماري صغيرة السن ، ورغم أن حديثها كان من ذلك النوع الذي لالون له ، تماما مثل عينيها او مثل شعرها ، فلم تكن تشعر باي رد فعل أو اندهاش . كانت تستمع بكليتها لكل حكاية من هذه الحكايات في غير احجام ، ثم تقول في النهاية ، بانه من شيء مثير . أو تقول «بالمقطاعة» حسب الاحوال ، وبعد هذا لاتشير اليها مرة اخرى من قريب أو بعيد، فقد كانت تضمر بأن لها عقلا مدرد ، لايجهد نفسه فيمعن التفكير في مثل هذه الاشياء وكانت الى جانب هذا معينا من الحيرة لا ينضب في الحسابات المنزلية ، وكان هذا سببا في أن تجار القرية، يسجلات حساباتهم الاسبوعية لم يكونوا يحبونها ، وفيما عدا هؤلاء لم يكن لها اى اعـداء ، ولم تكن تثير أي شعور بالغيرة حتى بين أكثر الناس سذاجة ، كما أن أحـدا لا يرجع اليها قولة سوء او غيبة أو نميمة لأحد كانت تستطيع أن تعد مائدة الطعام في بيت متراعي الابروشية أو في بيت الطبيب بعد نصف ساعة من احضارها بالامر ،

من الاطفال الصغار في شوارع القرية ، ممن كان آباؤهم يسارعون الى رفض ما يسمونه (وصاية) تفرض على ابنائهم وكانت تحضر اجتماعات لجنة التفريض بالقرية نيابة عن مس فولر عندما تعجزها آلام النهاب المفاصل . وظلت مدة ستة أشهر تحضر هذه الاجتماعات التي كانت تعقد بصفة دورية مرة كل اسبوعين وحرصت من هذه الاجتماعات وقد اكتسبت احتراما يتساوى في مقداره عند جميع العضوات .

وحين رمى القدر بين يدى مس فولر بابنة اخت يتيمة ، تبلغ الحادية عشرة من العمر ، قامت مارى بوستجيت بتعليمها في تعليم الفتاة طبقا لنظام التعليم في المدارس الخاصة والعامة . وكانت تراجع قوائم النبات ، وتحلل محتويات الفواتير التي تحمل مبالغ اجمالية ، وتكتب الخطابات الى نظار المدارس الخاصة والعامة وربات البيوت ورئيسات المرضات ، والمرضات ، والاطباء . ثم تكتئب او تفرح عند قراءة التقارير الدورية ، وكان ويندهام فولر الشاب ، يكافئها في أثناء اجازاته فيناديها باسم « عمود النواة » ، أو « العمود » ، أو « فتلة الدوارة » ، ويلطمها بين كتفيها النحيلتين ، او يطاردها حول الحديقة وهي تجرى أمامه لاهثة ، وفمها الواسع مفتوح ، وأنفها الكبير مرفوع في الهواء ، فوق رقبة متصلة أشبه ما تكون برقبة الجمل . بعد هذا كان يملأ البيت بالضجيج والمجادلات والخطب الطويلة الرنانة عن حاجاته الشخصية ، وما يحب وما لا يحب والقيود التي تضعها (أيتها النساء) . فتشكي مارى من شدة ما لقيت من تعب

حسابي ان يضيع حياتها من اجله الصحك اذا خلا له أن يتخذ جانب المرح وهي المواقف الحرجة التي كانت تتضاعف كلما زاد نموه . كانت سكرتيرته والناطقة باسمه عند مس فولر التي لم تكن تحمل كبير عطف او تفهم لمشكلات الشباب ، وكانت صوتا دائما في جانبه في الاجتماعات التي تعقد للنظر في امر مستقبله ، وكانت العائلة على شئون طعامه ، والمسئولة مسئولية مباشرة عن ترتيب ثيابه وأحذيته التي يبعثرها في غير نظام ، كانت عدما لمعاشاته وحامد دلولا رعى اشارته .

وعندما قر قراره على دراسة القانون والعمل بالمحاماة ، والتحق باحد المكاتب الكبرى في لندن ، وصرت تحيته لها من (هالو ، ياعمود النواة) الى (صباح الخير ياقبلة الدوارة) اشتعلت بينهما حرب ضروس ، تختلف عن كل الحروب التي تستطيع مارى ان تذكرها ، حرب لم تتادب وتظل بعيدة عن التطرف ، وتقتصر احداثها على مجرد النشر في الصحف ، وانما امتدت على أرواح اناس كانوا بين من تعرفهم ، وكما كانت تقول لمس فولر ، كانت حربا « مكدرة للحياة » . لقد اختطفت ابن راعي الأبرشية الذى كان يعمل في التجارة مع أخيه الاكبر ، واختطفت ابن أحد الكولونيل في ليلة بدء موسم عرس الفاكهة في كنت ، واختطفت ابن مستر جرانت ، الذى كان ، كما صرحت أمه ، يكرس حياته للخدمة الدينية ، كما اختطفت ، قبل الأوان بكثير ، « وين فولر » الذى نمت اليهم بطاقة من بطاقات البريد يعلن فيها أنه التحق بالقوات الجوية ، وانه يحتاج الى (بلوفر) من الصوف السميك .

بهذه القوات ، وان يحصل على (البلوفر) وعلى هذا اشترت مارى الصوف وحاكت بنفسها من المقاس المناسب . وبينما راحت مسز فولر تقول لمن يعملون في مؤسستها الصغيرة ـ وكانوا ستة فنيين ورحلا مترجما الاطبوار ودهب الستانيان ، « بقى (تشيب) وهو الرجل الغريب الاطوار ، ورقى الى مرتبة السكرتير في كنوح الستانى . أما الطباخة التى بدأت تحتقر نفسها لتفانيها أسيرة حياة الترف والبذخ ، فقد تركت البيت هى الاخرى بعد مشهد حزين مع مسز فولر ، واحلت محلها الخادمة « واعلنت مس فولر بينا تعيين بيللى « انسة » تشيب » التى تبلغ السابعة عشرة ، في الوظيفة الخالية ورفع مسز « تشيب » الى درجة طباخة ، على أن تقوم باعمال الخاطة بين حين وحين . وسارت امور هذه المؤسسة رخاء بعد هذا النقص الكبير في عدد الموظفين .

وطلب « وين » زيادة في المصروف الذى يحصل عليه . فقالت مسز فولر ، وكانت دائما تواجه الحقائق في شجاعة « يجب أن يحصل على هذه الزيادة ، فمن المحتمل الا يعيش ليستحق هذا المبلغ لمدة طويلة ، واذا كانت الاشارة تجعله سعيدا »

وكان « وين » سعيدا ، وحصر الى البيت ، في بدلته العسكرية التى اضفت ازرارها ناحاسكام ليعبر عن امتنانه واعتزازه بالجميل . لم يكن مركز تدريبه يبعد عنهم باكثر من ثلاثين ميلا ، وكان حديثه حديثا فنيا معقدا للغاية حتى لقد اضطر الى الاستعانة ببعض الرسوم البيانيه لتختلف أنواع المكنات لكى

وقال لها وهو يعطيها الرسم « يحسن بك ان تدرسيه ، يا عمود البوابة . سوف ترين كثيرا من هذه المكنات في وقت ليس ببعيد » . ودرست الرسم ، لكن عندما عاد «وين» مرة ثانية ليرهو بنفسه ويتعاظم بين النساء من أهل قريته ، ووجه اليها بعض الاسئلة سقطت سقوطا ذريعا في الامتحان ، عندما يوبخها كما كان يفعل في الأيام الماضية .

قال في صوته الحديد الذى يصطنع بالصيحة العسكرية « انك تشبهين الأدميين لا اقل ولا اكثر » . لا بد انه كان لك مخ في يوم ما من ايام حياتك الماضية ، فاذا فعلت به ؟ أين تحتفظ به ان اية نصحة لا بد أن تعرف اكثر مما تعرفين ، يا عمود البوابة . انك تتبرين الرثاء . انك اقل نفعا من صفيحة فارغة ، أيتها البقرة الكسيحة الداهلة »

فقالت مسز فولر من مكانها فوق الكرسى ذى العجلات « أظن أن هذه هى الطريقة التى يحاطبك بها رؤساؤك من الضباط ممن تعلو رتبهم على رتبتك »

فاجاب «وين» « ولكن عمود البوابة لا يسافر . اليس كذلك ، يا فتاة الدوبارة » ؟ »

فتمتمت هى تقول « ماذا ؟ هل كان وين يقول شيئا ؟ ساكون على علم تام بهذا الرسم عند حضورك في المرة المقبلة » . ثم رفعت ما بين حاجبيها الناحتين وانكبت مرة اخرى عندا أمر من الرسوم الهندسية لتصميم بعض المناطيد والطائرات .

وبعد بضعة اسابيع ، اصبحت ابناء المعارك البرية والبحرية التي تمرنوا لمستر فولر بعد تناول العطور ، تمر بها بطيئة مثل الأنفاس المتكاسلة . كان قلبها واهتمامها هناك في الهواء مع « وين » الذي كان قد أتم فترة التدريب على « الدوران » (وان كانت لا تعرف معنى هذه الكلمة) ، وأنه ذهب في سيارة أجرة نزل منها الى طائرة أصبحت ملكا خاصا له بطريقة او بأخرى . وفي صباح احد الايام دارت بضع دورات حول مدارج بيتهم ثم هبطت في قطعة الأرض الفضاء التي يملكها «فيج» ، خارج بوابة الحديقة ودخل « وين » الى البيت يصيح في طلب الطعام . وسحب هو وهي الكرسي ذا العجلات الذي تجلس فيه مستر فولر، كما كانا يفعلان مرارا ، على طول الممشى الذي مهدته الأقدام في قطعة الأرض الفضاء ، حتى تلقى نظرة على طائرته ذات السطحين . ولاحظت مارى أن « رائحتها كانت كريهة جدا » .

وقال وين « يا عمود السوابه اعتقد انك تفكرين بانفك . وأعرف انك لا تفكرين بعقلك ، والآن ، ماطراز هذه الطائرة ؟ » .

فقالت مارى « سأذهب واحضر الرسم » .

فصاح فيها قائلا « أنت انسانة ميئوس منها . أنت لا تملكين الجدارة التي يملكها فار أبيض صغير » . ثم راح يشرح لها عمل مختلف الأجهزة والعدادات « وآلات اسقاط القنابل من الطائرة الى ان حل الوقت الذي يركب فيه الطائرة مرة اخرى ويتخطى صعوبة السحب المحملة بالأمطار من حديد .

وقالت مارى والطائرة الكريهة الرائحة تلمع وهي تشق الهواء مصعدة في السماء « آه ، انظروا حتى تبدأ قوائمنا الحربة العمل . وين يقول أن الطيران أكثر أمانا من البقاء في داخل الخنادق» .

فقالت مستر فولر « ترى ما الذي سيحدث وهشد . أخرى تشيب بأن يأتي الى هنا ليسحب الكرسي الى البيت مرة أخرى .

فقالت مارى « ان الطريق كله منحدر ويمكنني أن أسحب الكرسي وحدي اذا حدثت أنت «الفرامل» ثم استندت جسدها النحيل الى القضيب الذي يدفع منه الكرسي ، وبدأنا ننحدران عائدين الى البيت .

وقالت مستر فولر التي تحدثت بطلاقة كبيرة من الشباك والآن احترسي حتى لايدفأ جسمك وتصابي بالبرد .

فقالت مارى « لاشيء يجعلني أعرق» ثم فردت ظهرها عندما أدخلت الكرسي الى دهليز البيت . كان الجهد الذي بذلته قد بعث شيء من الاحمرار الى خديها ،وفكت الريح خصلة من خصلات شعرها راحت تتراقص فوق جبينها ، ورمقتها مستر فولر بنظراتها .

وسألتها على حين غرة « ما الذي تفكرين فيه دائما ، يامارى ؟

ـ اوه ، يقول وين انه يريد ثلاثة حوارب أخرى من الصوف ، تكون ثقيلة بقدر ما تستطيع .

ـ نعم « ولكنني أقصد الاشياء التي تفكر فيها النساء « هاشدى قد جاوزت الاربعين من العمر .

فقالت مارى في صدق « الرابعة والاربعين » .

ـ حسنا

ـ حسنا ؟ وتركت مارى كتفها لمستر فولر تستند اليه كالعادة .

ـ عاهد معي عليك معي حتى الان عشر سنوات كاملة .

فقالت ماري : دعيني ار ـ كان «وين» في الحادية عشرة من عمره عندما جاء الى هنا . وهاهو ذا قد بلغ العشرين الآن . ولقد مضت قبله بستين . فيكون قد مضى على وجودي هنا احدى عشرة سنة .

ـ احدى عشرة سنة ولم يحدث ان اخبرتني شيء ذي قيمة على الاطلاق طوال هذه السنين . واذا رجعت الى الايام الماضية، بدا لي انني أنا التي قمت بكل الكلام .

ـ أختي أنني لست محدثة ممتازة وكما يقول «وين» فانني لست واسعة الادراك . دعيني احلع عنك قبعتك .

وتحركت مسز فولر في توتر ، وطرقت بلاط ارض الردهة بطرف عصاها المغطى بالمطاط .

ماري ، ألست أي شيء آخر سوى مرافقة؟ هل كان يمكن اطلاقا أن تكوني أي شيء آخر سوى مرافقة .

علقت ماري الضمة في مكانها من الشماعة ، وقالت بعد تفكير : لا لا أتخيل أن باستطاعتي أن أكون . . ولكن ليست لي القدرة على التخيل للأسف .

وجاءت لمسز فولر نكوب الدواء الذي تناوله في الساعة الحادية عشرة .

كانوا في ذلك الوقت في شهر ديسمبر الرطب ، وعيه يسقط المطر بمعدل ست بوصات ، ولا تغادر النساء البيوت الا نادرا . وزائريهم مركبة وين الطائرة مرات كثيرة . وظلت ماري صباحين متتاليين (وكان قد ابلغها ببطاقة بريد) تسمع أزيز محركات طائرته مع الفجر . وفي المرة الثانية جرت الى النافذة وراحت تحملق في السماء التي تتحول سوادها رويدا رويدا الى بياض يبشر بصبح جديد . ومرت الطائرة من فوق رأسها على ارتفاع كبير وكأنها نقطة فرقعت نحوها دراعيها الساحلين .

وفي الساعة السادسة من مساء اليوم التالي جاءهم اشارة رسمية داخل مظروف حكومي تفيد بأن الملازم ثان «وليم فولر» قد قتل في اثناء طيرانه في رحلة تجريبية . وأن الوفاة كانت سريعة . وقرأت الاشارة ثم حملتها الى مسز فولر .

وقالت مسز فولر بعد أن علمت بالنبأ : لم اتوقع ابدا شيئا غير ذلك . لكن يجزني ان يحدث هذا قبل أن نقوم باية عملية .

كانت الغرفة تدور بماري بوستجيت كما تدور الدوامة ، ولكنها وجدت نفسها تقف ثابتة تماما في وسط الغرفة .

وقالت : نعم ، مما يثير الرثاء انه لم يمت في احدى العمليات بعد أن يكون قد قتل أي انسان .

واستطردت مسز فولر تقول : كانت الوفاة سريعة . وهذا يخفف قليلا من وقع المصاب .

فقالت ماري ، وهي تستشهد بكلام «وين» ولكن «وين» يقول ان صدمة الخوف من السقوط تقتل الانسان في الحال ، مهما حدث لجثمان السيارة .

كان الهدوء قد بدأ يخيم على الغرفة وسمعت مسز فولر تقول بصوت هادئ ولكن لماذا لا تستطيع أن تبكي يا ماري ، وسمعت نفسها تجيب قائلة : ليس هناك ما يدعو الى البكاء . لقد أدى واجبه تماما مثلما فعل ابن مسز جراهام .

فقالت مسز فولر : وعندما مات جاءت هي وظلت تبكي الصباح بطوله .

ان هذا وحده يجعلني اشعر بالتعب الشديد . هل لك في ان تأخذي بيدي الى فراشي ، يا ماري ؟ واظن انني اميل الى استعمال قوته الماء الساخن الليلة .

وساعدتها ماري ، ثم جلست بجانب الفراش ، تتحدث عن «وين» وهو في دورة الشباب .

وقالت مس فولر فجأة : اعتقد ان كبار السن والصغار كذلك يتحطمون مثل هذه الصدمة. اما من هم في اواسط العمر فانهم يحسون وقعها اكثر من غيرهم .

فقالت ماري وهي تهب واقفة : اعتقد ان هذا صحيح ، سأذهب الآن لاحضر عرفة مما تبقى من اشياء . الم ترتدي ثياب الحداد ؟

فقالت مس فولر : قطعا لا ، فيما عدا الحمارة بالطبع ، اما لن استطيع الذهاب . اما انت فستذهبين . اريد منك ان تتخذي الاجراءات لدفنه هنا ، وبالها من نعمة ان هذا لم يحدث في سالسبوري .

كان الجميع ، ابتداء من كبار رجال الغوات الجوية الى راعي الأبرشية ، يعدون تجرعهم غاية العطف ويشاركونهم في الاحساس بالالم . ووجدت ماري نفسها في تلك اللحظة في عالم كانت الاجسام البشرية تنقل فيه بجميع انواع وسائل النقل الى جميع انواع الأماكن والبلاد . وفي اثناء الحمارة وقف الى جانب القبر شابان من رملائه يرتديان ملابسهما العسكرية وقد ورراهما باحكام وتحدثا اليها بعد أن انتهى كل شيء .

قال احدهما : انت مس بوستجيت ، اليس كذلك ؟ «فولر» حدثني عنك كان شابا طيبا ـ زميلا من الطراز الاول ـ خسارة فادحة .

فرمجر رفيقه مؤمنا : خسارة فادحة انما خيبها شديدو الحزن عليه

وهمس ماري : وما الارتفاع الذي سقط منه ؟

ـ لابد أنه يقرب كثيرا من ارتفاعه آلاف قدم ، اليس كذلك ؟ الم تكن طائرا في ذلك اليوم ، يا سكي ؟

فأجابه الشاب الآخر : تماما ، كان مؤشر الارتفاع في طائرتي يشير الى ثلاثة آلاف قدم ، وكنت مختصا عنه بكثير .

فقالت ماري : هذا حسن اذن ، شكرا جزيلا لكما .

وشرعا في الانصراف في الوقت الذي ارتسمت فيه مسز جرانت باكية على صدر ماري العريض عند مدخل المقبرة وهي تصرخ : أنا اعلم بوقع المصاب ، أنا اعلم بوقع المصاب .

وردت ماري وهي تبعدها عن صدرها قائلة : ولكن ابويه كليهما قد ماتا من قبل ، ثم أضافت قائلة في غموض وهي تهرب منها الى العربة التي كانت تنتظر ربما يكونون الآن قد التقوا كلهم .

وولولت مسز جرانت قائلة : لقد فكرت في هذا أيضا ، ولكنه عندئذ سيكون غريبا عنهم من الناحية العقلية شيء محير تماما .

تقلت ماري بأمانة كل صغيرة وكبيرة مما حدث في اثناء الحمارة الى مس فولر التي ضحكت عالية عندما وصفت لها ماري سورة مسز جرانت .

ـ اوه ، كم كان «وين» يستمتع بمثل هذا المنظر ، لم يكن أحد يستطيع أن يعتمد عليه ابدا في الحمارات ، هل تذكرين ، وراحتا تتحدثان عنه من جديد وكل منهما تصيف ما لدى الاخرى

الى ان قالت مس تيلر ... ان تحضر الستائر ولتهم بعض الترتيب العام . هذا بعيدا دائما فائدة كبيرة . هل اعتنيت باشياء اخرى ؟

فقالت مارى : لكل شيء ـ منذ قدم الى هنا لاول مرة . لم يكن ميالا الى الاتلاف مطلقا ـ ولا حتى مع لمعه وراحها المرفة الانيقة .

وقالت مارى اخيرا : لا يمكن ان يكون طبيعيا الا تبكي . انى احتى عليك كثيرا من رد الفعل .

ـ كما قلت لك : عادتا نحن المحاربين نتحطى مثل هذه الصدمة . انت هي التي اخاف عليها من رد العمل . هل بكيت بعد ؟ .

ـ : لا استطيع ان امكي : ان هذا يجعلني اشتد نقمة على الالمان .

فقالت مس فولر : هذا اسراف في القضاء على ما فينا من حيويه كامنه . يجب أن نعيش الى أن تنتهي الحرب . ثم فتحت صوانا مكتظا بالثياب . والآن . لقد كنت اقلب الرأي في كثير من المسائل : وهذه هي حطتي : كل ثيابه المدنية يمكن ان نسرع بهدايا ـ للاحياء البلجيكيين . وهي اليهم .

واطرقت مارى برأسها . واحديقه وباقاته . وقفازاته ؟ .

ـ : نعم ـ لا حاجة بنا لان نحتفظ بشيء سوى حرامه وقلنسوته .

ـ : لقد جيء بهما امس مع بقيه ملابسه العسكرية . ـ واشارت مارى الى لفافة ملقاة فوق السرير الحديدي الصغير .

ـ : آه ـ ولكن احتفظي بثياب الخدمة . قد يسر بها احد فيما بعد . هل تذكرين مقاييس ثيابه ؟ .

ـ : الطول خمسة اقدام وتسعة ... ولكنه اصغر منك وبلاتون بوصه . ولكنه اعرض ان محيط صدره بمقدار بوصه ونصف بوصة . سأسجل هذه المقاييس على بطاقة اشبكها على الكيس الذي يضم هذه الثياب .

فقالت مس فولر وهي تقر على راحه احدى يديها بالاصبع الوسطى من يدها الاخرى : اذن انتهينا من هذا . بالله من اسراف رائد ؟ . هذا يحصر حقيبة ثيابه المدرسية ويجمع فيها ثيابه المدنية .

فقالت مارى : والباقي ؟ كتبه وصوره ولعبه ـ و ـ ولباقي ؟ .

فقالت مس فولر : ان نحرقها جميعا . عندئذ سنعرف الى اين انتهت ولن يستطيع أحد أن يلبسها من بعده ما رأيك ؟ .

فقالت مارى : اعتقد ان هذا هو خير حل . ولكن توجد كمية كبيرة جدا منها .

فقالت مس فولر : نحرقها في فرن الحريق .

وكان هذا مرنا مقاما في المخلاء مستعمل لاحراق القمامه والنفايات والتخلص منها . وهو على هيئة برج دائري صغير من الطوب المضغوط يبلغ ارتفاعه اربعه اقدام قائم فوق شبكة من الاسياخ الحديدية المتقاطعة . وكانت مس فولر قد رأت تصميمه في احدى الصحف الخاصة بفلاحة البساتين من سنين مضت . فأمرت باقامته في آخر الحديقة . كان شيئا يرضي روحها التي تنزع الى النظام . فقد وفر عليها رؤية منظر اكوام القمامه التي لاتطاق . فضلا عن أن الرماد المتخلف كان يخصب من صلابة الارض الطينية الخاثرة .

وأعملت مارى التفكير لحظة ، فرات السبيل امامها واصبحا ، واطرقت براسها مرة أخرى ، وقصت المرأتان المساء تحرمان البدل المدنية التي تذكراتهم جيدا ، والثياب الداخلية التي كانت مارى قد وضعت لهما علامات مميزة ، وأكداس الجوارب وأربطة العنق الزاهية الالوان ، واحتاج الامر الى حقيبة ثانية ، ثم صندوق صغير آخر ، حملها في صباح اليوم التالي تشيب واحد الحمالين الى احدى العربات ، وكان راعي الارشيف لمس الخط يعرف ابنا لأحد اصدقائه يبلغ طوله خمسة اقدام وثماني بوصات ونصف بوصة يرحب كثيرا بالحصول على طاقم كامل من ثياب القوات الجوية ، فأرسل ابن السبتاني لكي يسلمها اليه ، وعلقت القلنسوة في غرفة نوم مس فولر ، كما علق الجرام في غرفة مس بوستجيت ، فلم تكن تهما رغبة ، على حد قول مس فولر ، لأن تحملا من القلنسوة والجرام مادة للحديث على مائدة حفلات الشاي .

وقالت مس فولر : « انتهينا من هذا وساترك لك الباقي ، يا مارى ، فانا لااستطيع ان أجري رائحة غادية في الحديقة ، تحسس لك أن تأخذي سلة العسيل الكبيرة وتأخذي ميللي لكي تساعدك » .

فقالت مارى : « سأحد عربة اليد الصغيرة وأقوم بكل شيء بنفسي » . وانفصلت عنها لأول مرة في حياتها .

كانت مس فولر ، في أوقات غضبها تطلق على مارى لقب المثالية الصيدة وارتدت اقدم ثيابها الواقية من المطر وقبعتها ، حذاءها الواسع الذي لا يثبت في قدميها ، فقد كانت حالة الجو تنذر بغزير هطول المزيد من المطر ، وجمعت مواد اشعال النار من المطبخ ، وكمية صغيرة من الفحم ، وحزمة من عيدان الحطب ، وحملت هذه الاشياء في عربة اليد الصغيرة فوق ممرات الحديقة المغطاة بالحطب الى مكان كثير العشب تحيط به أشجار الغار المتلفة بماء المطر ، حيث يقوم فرن الحريق تظلله ثلاث من شجرات البلوط تقطر فروعها المطر من فوقه ، وتسلقت السور الحديدي ومرلت الى حقل الارشيه خلف الفرن ، وبعد هذا طلت تقطع الرحلة بين الفرن والبيت ، مارة في كل مرة بوجه مس فولر المتجهم وهو يطل من نافذة المخبزة التي تقضي بها قبل الصباح ، تحمل في عربة اليد سلة العسيل ، مغطاة بقطعة ، تملؤها بمتعلقاته من لعب وكتب مدرسية ، وأطالس ، وأكوام من اعداد غير مسلسلة من مجلة « هواة الدراجات البخارية » و « العربات الخفيفة » ، وكتالوجات عن المعارض المختلفة ، وبقربا أسطول من البحوث والمراكب الشراعية الصغيرة تتراوح أثمانها بين تسعة بنسات للمركب الصغير وستين شلنا للبحث الكبير ، وثوب من ثياب المدارس الاعدادية ، ومجموعة من المصطلحات تتراوح أثمانها بين ثلاثة شلنات ونصف وبين اربعة وعشرين شلنا ، وكرات للتنس والكريكت ، وطائفة من القطارات بعضها يعمل بالبخار وبعضها يعمل بالزنبركات ، بقصباتها الملونة ، ونموذج لغواصة من الصفيح مدهونة باللونين الرمادي والاحمر ، وخراطيم قديم واسطوانات منسوجة ، ومضارب للجولف كان لابد لمارى من كسرها فوق ركبتها كما فعلت بمجموعة العصى التي كان يستعملها في سيره ، وحزمة

كان يقدمها أثناء اللعب ، ومجموعة من الصور الفوتوغرافية لفرق كرة القدم والكريكت في المدارس الخاصة والمدارس العامة ومجموعة من آلات التصوير

الشمس ، والأفلام ، ونصف كئوس من النحاس الأصفر وكأس من الفضة الخالصة ، نالها في مسابقات الملاكمة وسباق الحواجز للناشئين

والناس من الصور المرسومة ، وصورة مس فولر ، وصورة لها ، كان احدها منها على سبيل المزاح (وحرصت على ألا تطلعها منه) ، ولم يعدها اليهـــا ، وصندوق للعب به درج سحري ، وطائفة كبيرة من الثياب الصوفية والاحرمة ، والملابس الداخلية ، وحذاء جديد لم تخرجه من علبته ، وحزمة تضم جميع الخطابات التي ارسلتها هي ومس فولر اليه ، وقد احتفظ بها كل هذه السنين لسبب لابد غير معقول ، وكراسة تضم محاولة ساذجة في كتابة اليوميات بها وصف خمسة أيام ، وطائفة من الصور لسباق السيارات ، كل منها داخل اطار ، وكميات من الاشياء المختلطة ، وصناديق العـــدد المختلفة ، ومفاتيح الاربات ، والبطاريات الكهربائية وأدوات اللحام ، والمناشير ، وألعاب الحواة .

كانت مس فولر تراقبها من محلها خلف المائدة وهي تروح وتغدو ، فقالت لنفسها : « ان مارى امرأة محتـــرز ، انني لم أعطى الى هذا مطلقا من قبل » .

وبعد الغداء نصحتها بان تنال قسطا من الراحة .

فقالت مارى : « أنا لاأشعر بتعب على الاطلاق ، لقد رتبت كل شيء ، سأذهب الى القرية في الساعة الثانية لكي أشترى بعض الســـكروين ، ليس عندنا ما يكفي ، وسوف يعيدني المشي كثيرا » .

وأخرت تصنيفا أخيرا في ارجاء البيت قبل أن تبدأ المسير ، فوجدت انهـا لم تعمل شيئا ، وبدا الضباب يتجمع في المنحطة التي انتهت فيها من قطعة الارض الصماء التي يملكها « فيج » ، حيث اعتاد وبن ان يهبط بطائرته ـ وبدا لها أنهـا تكاد تسمع أزيز محركات طائرته فوق راسها ، ولكن لم يكن في الصمـــاء مارى ، وعردت مطلقهـــا ثم قذفت بنفسها في هذا الجو المطير العاصـــف وراحت تسير على غير هدى الى ان صارت في داخل حدود القرية الخاوية ، وبينما هي تغادر دكان « كيد » تحمل زجاجة مليئة بالكيروسين في حقيبة حوائجها المصنوعة من الخيوط السميكة ، قابلت المرضة « ايدن » ، ممرضـــة القرية وبدات تحادثهـــا اطراف الحديث كالعادة ، عن اطفال القرية ، وكانتا على وشك الافتراق امام حانة « رويال اوك » عندما سمعتا صوت مدفع يطلق خلف البيت مباشرة ، تبعه صراخ بدا حادا ثم بدا يخفت حتى تحول الى أنين .

وقالت المرضة « ايدن » مستجيبة للموقف « حادث » ، ثم اندفعت تعبر الحانة الخاليـــة ، ومارى في اثرهـــا ، ووجدتا مستر « جريت » زوجة صاحب الحانة ، وهي لاتستطيع ان تعمل شيئا سوى أن تتنفس في صعوبة وتشير نحو الفناء الداخلي للحـــانة ، حيث كان المخزن الصغير الذي توضع فيه عربة نقل الجمور ، يتراقص متهدما على أحد جوانبه وسط قرقعة تهشم البلاط الذي يغطي ارضيته ، وركضت المرضـــة « ايدن » ملاءة علقت أمام النار كي تجف ، وجرت الى الفناء فالتقطت شيئا من فوق الارض رفعته بين يديها واحاطـــه بالملاءة ، وتحولت الملاءة وصف ثياب المرضـــة الى اللون الاحمر القـــاني وهي تدخل بحملها الى المطبخ ـ كانت (ادنا جريت) الصغيرة ، التي تبلغ التاسعة من العمر والتي تعرفها مارى منذ كانت امهاتحملها في عربة الاطفال .

وتســـاءلت (ادنا) قائلة : « هل اصـــابتني بالعة ؟ » ثم مالت بين يدى المرضـــة (ايدن) التي كانت دماء الصبية تقطر منهما ، وســـقطت الملاءة جانبا ، وقبل ان تستطيع مارى اعتراض

عينيها ، لمحت الجسد المسجى وقد تمزق شر ممزق .

عجيب أنها استطاعت أن تنطق ، ما هذا الذى حدث بحق السماء ؟ » .

فقالت مارى ، قبله » .

ـ « منطاد آخر من مناطيد زبلن ؟ » .

ـ « لا ، بل طائرة . أظنني سمعت محركاتها فوق قطعة الارض الخضراء ، ولكني ظننت أنها احدى طائراتنا . لابد أنها اوقفت محركاتها وهي تهبط الى أسفل ـ هذا هو السبب فيما أنا لم أنتبه اليها » .

فقالت الممرضة ، وهي تزبد وقد ابيض وجهها من شدة الغضب « أولئك الخنازير القذرون . تأمل الورطة التي أنا فيها . اذهبي وابلغي الدكتور «هنيبس» يا مس «بوستجيت» . قالت هذا ونظراتها تتجه نحو الام التي كانت قد خرجت مشيا عليها ووجهها الى الارض ، ثم قالت ، انها نوبة اغماء » اغلبها ليجبر رجهها الى اعلى » .

وحركت « مارى » « مسز جريت » حتى صار جنبها الايمن الى أعلى ، واسرعت تسعى في طلب الطبيب . وعندما قصت عليه القصة ، طلب اليها أن تبقى في غرفة العمليات حتى يحضر لها شيئا تشربه .

فقالت « ولكني اؤكد لك انني لا احتاج لشيء . لا اظن ان من الحكمة أن نخبر مس «ولر بشيء مما حدث» أم أنك ترى ان نخبرها ان قلبها حساس للغاية في هذا الجو » .

ونظر اليها الدكتور « هنيبس » في اعجاب وهو يعد حقيبة أدواته .

ثم قال « لا ، لا تخبري اى انسان الى أن نتأكد » ثم اسرع الى حجرة « رويال اوك » على حين مضت مارى في طريقها الى البيت ومعها الكيروسين وكانت القرية التي خلفتها من ورائها ساكنة كالعادة فلم يكن الخبر قد ذاع بعد . وعبس وجهها قليلا . وانسمت فتحتا انفها بصورة منفرة ، ومن حين لآخر راحت تتمتم بعبارة كان «وين» ، الذى لم يكن يكبح جماح نفسه امام النساء من اهل قريته ، يصف بها الاعداء . « الكفرة » السفاحون . انهم فعلا كفرة سفاحون » . ثم اكملت الحديث لنفسها . وهي تعود الى المنزل الذى وطنت عليه نفسها قائلة « ولكن يجب الا يجهد المرء عقله بالتفكير في مثل هذه الاشياء » .

وقبل أن تصل الى البيت ، لحق بها الدكتور هنيبس في عربته ، وكان كورنيليا خاصا في غرفة الدفاع المدني كذلك .

وقال لها « اوه ، يامس «بوستجيت» كنت اريد أن أحدثك بأن حادثة حانة «رويال اوك» كانت نتيجة لتهدم مخزن «جيريت» . كان وجوده خطرا منذ وقت طويل . كان الواجب أن يهدم » .

فقالت مارى « أظنني سمعت صوت انفجار أيضا » .

ـ « ربما انحدعت بفرقعة كتل الخشب وهي تتحطم . كنت اراقبها منذ مدة . كانت متآكلة بحرها السوس في كل اجزائها ، وبالطبع ، عندما تحطمت صدرت عنها ضجة تشبه صوت اطلاق المدفع » .

فقالت مارى في ادب جم « احقا؟» واستمرت في الكلام ، وهو ما زال يحدجها بنظريه « كانت اوتا المسكينة تلعب تحت سقفه . تمزقتها كتل الخشب وبلاط الارضية اربا اربا ، أفهمت ؟ » .

فقالت مارى وهى تهز رأسها « لقد رأيتها ، وسمعتها كذلك » .

وغير الدكتور هيبيس لهجته تماما وهو يقول « حسنا ، لايمكن ان نكون متأكدين . انى اعرفك واعرف المرصة « ايدن » ولقد تحدثت معها ، واعلم انكما اهل للثقة ، واستطيع ان اعتمد على انكما لن تخبرا احدا بشىء . ـ فليس من الخير اثارة حفيظة الناس الا اذا ـ »

فقالت مارى « اوه ـ انا لا افعل هذا أبدا ـ على اية حال » . ومضى الدكتور هيبيس فى طريقه الى عاصمة المقاطعة .

وقالت فى نفسها انه ، رغم كل شىء ، قد يكون نهدم المخزن القديم فعلا هو الذى فعل هذا كله بادنا الصغيرة المسكينة . وكانت نادمة على مجرد انها تحدث فى حديثها الى اشياء اخرى ، ولكن المرصة « ايدن » ليست حكيمة فحسب بل انها الحكمة ذاتها . وهى الوقت الذى وصلت فيه الى البيت بدا لها ان الحادث يتقادم بسرعة متزايدة لعظاعته المخيفة . وما ان دخلت الى البيت حتى اخبرتها مس فولر ان طائرتين مرتا منذ نصف ساعة .

فردت قائلة « اظن انى سمعتهما . سانزل الى الحديقة الآن . لقد احضرت الكيروسين » .

ـ « نعم . ولكن ـ ما الذى تحملينه داخل حذائك ؟ انه يقطر ماء . انسى غيره على الفور » .

ولم تصدع مارى بالامر فتلمس حذاء آخر فحسب ، وانما لفت الحذاء المبتل فى ورق جريدة قديمة ووضعته فى حقيبة الحوائج مع الزجاجة ، ثم خرجت الى الحديقة بعد ان تسلحت بأطول قضيب من الحديد يستعمل لتحريك النار فى المطبخ .

وكان آخر ما سمعت قول مس فولر « بدا المطر يهطل مرة أخرى . ولكن ـ انى أعلم انك لن تكونى سعيدة حتى تنتهى من هذا العمل » .

ـ « انه لن يستغرق وقتا طويلا لقد نقلت كل شىء الى ضفاف . واحكمت غطاء قرن الحريق حتى لا يتسرب اليه ماء المطر » .

كان المكان يسبح فى ضوء الشفق فى الوقت الذى انتهت فيه من اعداد كل شىء وتمسكت الكيروسين . وعندما اوقدت عود الثقاب الذى سوف يحرق فلهما ويحيله الى رماد ، سمعت صوت توجع وانين يصدر من خلف أشجار الغار البرتقالية الكثيفة .

وبادت فى صبر نافد « تشيب ؟ » ، ولكن « تشيب » الذى يعانى من روماتيزم قديم يجعله يلود بكوخه المريح هو آخر انسان يمكن ان يدنس هذا الحرم المقدس . فقالت مستنجدة « لا بد انه صوت الاعمام » ، ثم قذفت بعود الثقاب الى الفرن . واشتعلت النار داخل الفرن بصوت يشبه الزئير ، وعجلت أضواء النيران اللهب بانتشار الظلام فيما حولها .

وقالت فى نفسها « كم كان « وين » يحب منظرا مثل هذا » . وحطت الى الخلف لتتقى وهج النار . وعلى الضوء الذى يبعث من اللهب رأت مارى ، خلف شجرة غار تبعد عن مكان وقوفها خمس خطوات ، رجلا عارى الراس يجلس فى تصلب شديد عند قاعدة احدى شجرات البلوط . ورأت فرعا صغيرا من فروع الشجرة قد انكسر وسقط فى حجره ، وبرزت من تحته

رجل تلبس في قدميها فردة حذاء من احدية الجنود وكان رأسه يتحرك من جانب الى آخر بغير انقطاع، ولكن جسمه كان ثابتا مثل جذع الشجرة . وكان يرتدي ـ وهما تحركت جانبا لتراه بوضوح أكثر ـ بدلة عسكرية تشبه بدلة «وين» لها ثلاثة فوق الصدر مغطاه بازرار . وظنت لحظة انه ربما كان احد الطيارين الشبان الذين قابلتهم في أثناء تشييع الحمارة . ولكن رؤوس هؤلاء كانت ذات شعر داكن املس ، أما رأس هذا الرجل فشاحب اللون كانه رأس طفل صغير ، وكان ذا شعر قصير لدرجة أنها رأت من تحته الجلد المتقشع الذي يغطي تحت الاشعار . وكانت شفتاه تتحركان .

فتقدمت منه مارى وانحنت نحوه قائلة : « ماذا تقول ؟ »

وتمتم بقول بالالمانية : « سيدتي سيدتي . » بينما راحت يداه تتشبثان باوراق الشجرة الميتة التي بللها المطر . ولم يساورها اى شك في جنسيته . واغضبها هذا بدرجة فائقة فحطت نحو قرن الحريق رغم أن النار لم تكن هدأت أو حان الوقت لاستعمال القضيب الحديدي لتحريكها . وبدا أن النار تلتهم كتب «وين» بطريقة مرضية . ونظرت الى شجرة البلوط التي يجلس الرجل عند قاعدتها ، فرأت عددا من الفروع العليا الخضراء وفرعين أو ثلاثة من الفروع السفلى المتسوسة قد انكسرت وانتثرت أوراقها فوق أرض الممر المؤدي الى المكان الذي تقف فيه . ورأت قمة ذات خطوط متسقة اليها قد استقرت فوق نتوء نتأى من احد الفروع السفلى ، بدت لها على ضوء السماء اللهب المتراقصة أشبه شيء بعش طائر من الطيور . ثبت لها ان هذا الشخص قد احترق الشجرة أثناء سقوطه . فمن قبل احرقها «وين» أن من الممكن ان يسقط السامين من الطائرات . كذلك أخبرها بان الاشجار أدوات ناقصة لكسر حدة سقوط الطيارين . ولكن في هذه الحالة الراهنة لا بد أن الطيار قد أصيب بكسور في أنحاء جسمه والا لتحرك من هذا الوضع الشاذ الذي هو فيه . وبدا لها انه عاجز تماما فيما عدا وجهه الخائف الذي لايكف عن الحركة . ومن ناحية أخرى ، استطاعت أن تلمح عند مسدسه معلقا في حزامه .. وكانت مارى تكره من المسدسات قدر بضعة شهور مضت ، وبعد أن فرغت هي ومس فولر من قراءة بعض البلاغات الحربية عن المعارك في بلجيكا ، كانت لهما جولة مع واحد من هذه المسدسات ـ كان مسدسا صغيرا له رصاصات مفلطحة عند مقدمتها ، قال « وين » ان استعمالها ضد اعداء منحضريين أمر تحرمه قوانين الحرب وردت مس فولر قائلة : « انه مناسب لنا بما فيه الكفاية . اشرح لمارى الطريقة التي يعمل بها » . فاصطحب « وين » مارى التي راحت ترمش بعينيها من شدة الدمر ، الى مكان قريب ، وهو يضحك من مجرد التفكير في امكان وجود حاجة اليه . وشرح لها الطريقة التي تطلق بها هذه الآلة القاتلة . ان هذا المسدس الآن قابع في درج منضدة الزينة العلوي الى اليسار ـ تذكارا غاليا لا يدخل في قائمة الاشياء التي تحرق انه «وين» لا بد سيسر عندما يرى أنها لا تخاف شيئا .

وانطلقت الى البيت لاحضاره . ولما عادت تحت وابل المطر ، كانت العينان في ذلك الرأس مملوءتين بالامل . وحتى

[illegible] أركانه تهدلت لمرأى المسدس مثلمـــا تهدلت أركان فم «ادنا جيريت» . وانحدرت دمعة من احدى العينين . وراح الرأس يتدحرج يمنة ويسرة من كتف الى كتف كأنما يريد أن يشير الى شيء .

وصاح في كلمات متقطعة «مكسور . كل مكسور» .

فقالت ماري في استـــمرار : «ماذا تقول؟» . وهي حريصة على أن تظل بعيدة عنه رغم أن الرأس وحده هو الذي يتحرك .

ردد قوله «مكسور . ساعديني . الطبيب . الطبيب» .

فقالت ، وهي تستجمع محصولهـــا الصغير من الكلمات الالمانية لتقف الى جانب المسدس الكبير : «لا . لقد رأيت بنفسي رأسي كيف مات الآخرون» .

وهدأ الرأس وبقي ساكنا . وكانت ماري قد حرصت على ابقاء أصبعها بعيدا عن الزناد خوفا من الحوادث . وبعد انتظار استغرق فترة وجيزة ، عادت الى فرن الحريق ، حيث كان اللهب قد بدأ يخمد ، وحركت كتب «ون» المحمصة بالقضيب الحديدي . ومرة أخرى راح الرأس يزمجر في طلب الطبيب .

وقالت ماري في تبرم وهي تضرب الارض بقدمها : «كفى . كفاك صيحة أيها الكافر السفاح» .

تدفقت الكلمات من فمهـــا في سرعة وفي غير تصنع . كانت كلمات «ون» ذاتها ، وكان «ون» سيدا مهذبا لايمكن لأي منتسب من الوجود أن يسرق جسد «ادنا» الصغيرة الى تلك الكتلة المختلطة من الشرائح والأشلاء الدامية . أما هذا الشيء المكوم عند قاعدة شجرة البلوط فقد قتل . لم يكن الموضوع الآن مجرد ترياه جمار المصابيح في المصحف من مســـمع فولر . لقد رأت ماري المنظر نفسيهـــا على منصة الطبيخ في حانة «رويال أوك» . يجب ألا تجهد عقلها بالتفكير في مثل هـــذه الاشياء . والآن مات «ون» ، وكل الاشياء التي تمت اليه بصلة تتكوم وتنتشر في الفرن . فمعـــل القضيب الحديدي الذي راحت يدها تقلب به النار في اشتعال ، ثم تتـــحول الى تراب أسود وذرات من رماد . ان هـــذا الشيء القابع أسفل شجرة البلوط يجب أن يموت كذلك .

لقد رأت ماري الموت أكثر من مرة ، فهي تنحدر من اسرة لأفرادها ، كما أخبرت مس فولر ، مهـــارة فائقة في الموت تحت أضواء الظروف . لســـوف تبقى حيث هي حتى تقتنع تمام الاقتناع بأن ذلك الشيء قد مات ـ تماما كمـــا مات ابوها في اواخر القرن التـــاسع عشر . زعمتها ماري في سنة ١٨٨٩ ، وكمـــا ماتت أمها في سنة ١٨٩١ وابن عمها «ديك» سنة ١٨٩٥ . وكما ماتت مدبرة منزل الليدي «ماكورلاند» سنة ١٨٩٩ . وكمـــا ماتت أخت الليدي ذاتهـــا سنة ١٩٠١ . ولقد دفن «ون» من خمسة أيام مضت ، ولا تزال «ادنا جيريت» ، تنتظر مكانا مناســـبا من الارض حيث يواري جســـدها التراب . وبينما هي غارقة في التفـــكير ـ وقد عضت على شفتها السفلى بأحد انيابهـــا الواهنة ، وزوت ما بين حاجبيها وزادت طاقتـــا أنفهـــا اتســـاعا ـ راحت تهز النار بالقضيب الحديدي وخزات قوية رجت شبكة الاسياخ الحديدية في قاع الفرن ، وحكت ما لصق بجـــدرانه من أعلى . ونظرت في ســـاعة معصمها . كانت الساعة تقترب من الرابعة والنصف ،

والمطر يهطل في غزارة والجاج ، انهم يتناولون الشاي في الخامسة . فاذا لم يصل هذا الشيء قبل ذلك الوقت ، فانها سوف تتلقى بناء المطر وتضطر الى تغيير ثيابها . وفي الوقت ذاته ، كان ما شغل بالها أن أشياء ، وبين ، كانت تحترق بطريقة طيبة رغم المطر الذي يغمر من حولها . ورغم أنه من أن لآخر كان غلاف لكتاب مشهور يرتفع من وسط الكتلة المحترقة ، وبعث فيها التمرين على تحريك النار دفئا بدا كأنما وصل منها الى النجاح . وبدأت تترنم بأغنية وهي التي لم تكن لها قدرة على الغناء في يوم من الايام . انها لم تؤمن اطلاقا بكل هذه الافكار ـ رغم أن مس فولر ذاتها كانت تميل قليلا الى هذا السبيل ـ عن وظيفة المرأة في الحياة، ولكنها الآن رأت أن هناك الكثير مما يقال لصالح النساء . هذا ، على سبيل المثال ، كان عملها ـ وهو عمل ما كان أي رجل ليقوم به ، وعلى الأخص الدكتور هيبيس من دون الناس جميعا. فالرجل في مثل هذه الازمة ، سيكون ما اطلق عليه «وين» اسم « رياضي » ، وسيترك كل شيء لكي يأتي بالنجدة ، وسوف يأخذه بكل تأكيد الى داخل البيت . ولما كانت وظيفة المرأة في الحياة هي أن تقيم بيتا سعيدا لزوج واطفاله منها ، فانه اذا لم يوجد هؤلاء ـ كان الامر أنفسه من أن يدع المرء عقله يجهد بالتفكير فيه ـ ولكن ـ

وصاحت مرة أخرى من خلف الظلال التي يرسمها ضوء اللهب : « كفاك ضجة . قلت لك ، لا . لقد رأيت بعيني رامي كيف مات الآخرون » .

ولكن هناك حقيقة واقعة . ان المرأة التي عانت من حياتها هذه الاشياء ، يمكن مع ذلك أن تكون نافعة ـ بل أكثر نفعا من أي رجل في بعض أحوال معينة.

وراحت تضرب ذرات الرماد المستمرة كما يفعل عمال تمهيد الطرق ، لما تصم هذه الحقيقة من اثارة غامضة . كانت حبات المطر تطفىء جانبا من النار المتأججة ، ولكنها استطاعت أن تشعر فيما كانت تستطيع أن ترى في الظلام بأنها قد قامت بعملها خير قيام . وكان في قاع الفرن وهج أحمر باهت ، لايكفي لعمل العطاء الخشبي بتفحم ان هي عطت بهاجا من الفرن اتقاء المطر المتساقط. وبعد أن انتهت من هذا استندت الى قضيب تحريك النار وراحت تنتظر ، بينما سيطرت على كيانها ، نشوة عارمة من السرور المتزايد . وكفت عن التفكير وسلمت نفسها لما سيطر عليها من مشاعر . وقطع عليها سرورها الطويل صوت وقفت في حياتها من قبل مرات عديدة تنتظر في الم وتوجع . ومالت الى الامام ، وراحت تصيخ السمع وهي تبتسم . لا يمكن أن تكون مخطئة . وأغلقت عينيها منتشية لسماعه . ثم انقطع الصوت دفعة واحدة .

وعندئذ في صوت مرتفع قليلا « حبا استمر . ليست هذه هي النهاية » .

ثم جاءت النهاية واضحة تمام الوضوح في لحظة سكون انقطع فيها سقوط المطر . وحدثت هاري انعاسها المهجورة من بين أسنانها ، وارتعدت من قمة الراس الى أخمص القدمين . وقالت راضية . « هذا شيء جميل » . ثم سارت الى البيت ، حيث حطمت جميع قواعد الرتابة بان اخذت حماما ساخنا عندما قبل تناول الشاي ، ونزلت الى الطابق الارضي وهي تدندن ، كما قالت مس فولر حين رأتها تتكرم مسترخية فوق الاريكة المقابلة ، « وصمة غاية في السامة » .